

نحن أبناء الضاد ... ونلسون مانديلا (*)

✓ بقلم: الأخضر الإبراهيمي وغسان سلامة

بمناسبة عيدهِ الثاني والتسعين، لا يريد نلسون مانديلا تحية ولا تهنئة، ولا يريد بالخصوص منك أن تتوقف لحظة واحدة عن العمل.

يريدك أن تفكر ببديك الاثننتين، وان تسأل نفسك، ماذا لهاتين اليدين أن تفعل في خلال ساعة واحدة من الزمن كي تعينا فقيراً أو تنظفاً



رواقاً في ميمت أو ترتبا أثنائاً في مستشفى، أو تزرعا شجرة في بستان فلاح فقير، أو تغسلا ثياب رجل معدم.

لا يا صديقي، لا تمد إحدى اليدين إلى جيبك لتسحب مالا وتنبرع، فالمال ليس موضوع اليوم، يوم الثامن عشر من تموز/يوليو، إنما الليدان، إنما الجسد الشخص المتواضع لفائدة آخر تعرفه وتتعرف عليه بهذه المناسبة، آخر لم يبتسم له الزمن كما ابتسم لك ولم يعامله الدهر بما يستحق.

كان يمكن لهذه الكلمات أن تكتب بأي لغة من لغات الأرض، بلغات جنوب أفريقيا الرسمية الإحدى عشرة أولاً، حيث بات الثامن عشر من تموز/ يوليو يوماً وطنياً كذلك الأيام الكبرى في أية أمة.

كان يمكن أن نكتب كلماتنا هذه بلغات الأرض كلها حيث يصعب أن ينافس إنسان حي نلسون مانديلا في مدى وعمق سلطته المعنوية، وهيبته الأخلاقية، هو الذي أمضى ٢٧ عاماً يناضل في سبيل المساواة بين الأعراق والأديان والشعوب وأساساً بين البشر، وهو الذي بقي ٢٧ عاماً في المعتقل بعضها في السجن الانفرادي والعزلة المطلقة، والبعض الآخر في الأعمال الشاقة، وما تبقى منها في جزيرة "اوين اينلد" المرعبة، وكلها في مواجهة يومية مع أنواع التعذيب والإهانة، ليخرج من الزنزانة شيخاً جليلاً وقوراً مكلاً بالبيض، يدعو بهدوء وإلحاح للمصالحة بين كل أبناء جنوب أفريقيا، مثيراً التعجب بل الاستياء بين أصحاب لون بشرته ورفاقه في النضال المرير ضد التفرقة العنصرية، والدهشة بين أفراد الأقلية البيضاء التي مارست تلك التفرقة بالعنف الذي نعرف والتي عزلته ما يقرب من ثلاثة عقود في السجن.

وإننا لنذكر تماماً تلك الأيام العنصرية من الانقسام العمودي الرهيب بين البيض والسود حين خرج مانديلا من سجنه متناسياً سنوات العزلة، متجاهلاً تحفظات الرفاق، متجاوزاً عداة الخصوم وداعياً بإصرار وهدوء إلى المصالحة الشاملة بين الجلاد والضحية، بين السجان والسجين، بين الأسود والأبيض، مقلداً بعزم عهد الطغيان والتجبر، واضعاً دعاة الثأر في موضع الاتهام مبعداً أنصار الانتقام عن محيطه المباشر حتى من كان منهم من اقرب الناس إليه، مؤسساً لفكرة أن بناء المستقبل يقتضي المقدر على نسيان الماضي وان الانتصار على الظلم يتم أولاً بمد اليد نحو الجميع بهدف تحقيق مشترك للعدالة والمساواة وبناء مجتمع جديد. لذا، الآن هذه الدعوة الجريئة، وغير المسبوقة، تضرب عميقاً في أخلاقيات بشرية تحتاج إليها العشرات من المجتمعات الإنسانية المتخاضمة والمتحاربة. فقد قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة وبالإجماع اعتبار الثامن عشر من تموز / يوليو يوم نلسون مانديلا العالمي.

ولهذا السبب، بات نموذج مانديلا في الإصرار على التقاهم

مع الخصم بعد عقود، بل قرون، من الخصام، مثلاً عالمياً يجدر بالكثيرين التوقف عنده.

ولما أتيت لي أن أقابله للمرة الأولى غداة خروجه من السجن قال لي، وبعض رفاقه كان ما يزال يتحدّى أفكاره، يشكك حيناً في وطنيته وأحياناً في حكمته، "أن الحرب تتم بالنضال حتى المسلح منه، أما الخروج من حال الحرب فلا يتم إلا بالتفاوض والتسامح".

وان نحن نظرنا اليوم في أحوال جنوب أفريقيا، لبدا لنا بوضوح أن مشاكل هذا البلد الكبير لم تحل جميعاً، بل أن بعضها قد تفاقم أخيراً، ولكنه يصعب على أي مراقب أن ينفي أن موقف مانديلا التاريخي قد وفر على ذلك البلد حرباً أهلية شاملة كانت ستدمره وتمزقه بالكامل. كما أن موقفه الشجاع، بعد ترؤسه لبلاده لولاية واحدة (بينما عموم سكان البلد كانوا يريدونه رئيساً، ولو لولاية ثانية كان الدستور يسمح له بها) شكل نموذجاً فريداً لرجل يبتعد عن المنصب الأول بكامل رضاه، ورغم إلحاح شامل من أبناء بلده في عصر يتعدى فيه "الرؤساء مدى الحياة"، وتوريث الأبناء والأحفاد بعد الآباء والأجداد.

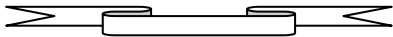
كان يمكن أن نكتب هذه الكلمات بأية لغة، ولكننا كتبنا بالعربية بالذات لأن مانديلا، في قعر الزنزانة، لم ينس يوماً أي طرف عربي أبدى اهتماماً ببلاده أو دعماً لنضال شعبه ضد التفرقة العنصرية. بل انه كان يذكر بالاسم عرباً، من القادة ومن الناس العاديين، أيّدوا نضاله ووصلت أصداء مواقفهم إلى أبواب سجنه.

كان وفيماً في السجن، وكان أكثر وفاءً بعد خروجه منه، في زمن عزت هذه الصفة وندرت. بل أن مانديلا ما اهتم فقط ببلده بل تبوّى أيضاً قضايا ضحايا الظلم في العالم وشعب فلسطين في مقدمتهم مصرحاً يوماً بأن "حريتنا لن تكون يوماً كاملة طالما بقي الفلسطينيون يرزحون تحت نير الاحتلال".

كما رفض مانديلا أن تشترك بلاده في أي عقوبات على أي بلد عربي أو إسلامي كان قد ناصر النضال ضد التفرقة العنصرية أو السيطرة الاستعمارية.

أولاً يستحق رجل كهذا أن نستجيب جميعاً، ونحن أبناء الضاد أولاً، وأن نتوقف لحظة وننظر في يدينا الاثننتين لفترة ساعة لنتساءل كيف يمكن لهما أن تتحركا لنصرة مظلوم، أو مساعدة فقير، أو دعم منتفض؟

(*) العنوان الاصلي الذي وضعه الكاتبان: من نلسون مانديلا وعنه. (الأخضر الإبراهيمي وزير خارجية الجزائر الأسبق ومساعد أسبق أمين عام الأمم المتحدة، والدكتور غسان سلامة هو وزير الثقافة اللبناني الأسبق وأستاذ في معهد العلوم السياسية في باريس). - جريدة النهار ١٨ تموز ٢٠١٠



رسالة ظريفة بين محمد كرد علي، وفارس الخوري

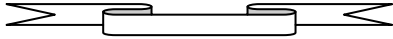
✓ بقلم: صلاح بروري

الوزير والعلامة دمشقي المعروف، ومؤسس ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، محمد كرد علي (١٨٧٦-١٩٥٣) ، ينتهي نسبه إلى مدينة السليمانية بإقليم كردستان العراق (كما يقول هو في مذكراته)، ولا تزال أسرته الكبيرة في دمشق، تحمل لقب "كرد علي" المعروف. وثمة شارع في دمشق، يحمل اسمه (شارع محمد كرد علي)، إضافة إلى شارع آخر باسم شقيقه العلامة (أحمد كرد علي).

وخشونة قاسم أمين الكردي أخذت بتحريير المرأة في الإسلام، وخشونة أحمد شوقي أصارت الشعر العربي إلى هذا النمط؛ فأفحمت كل شاعر وشعور، وخشونة أحمد تيمور الكردي عملت ما عملت بلغة العرب، وخشونة عباس محمود العقاد الكردي أخرجت الآداب عن طورها القديم؛ فكان رأس المجددين في الكتابة والأدب.

وما زال الأكراد يُرمون بالخشونة، ما لم يبدوا نعمة في السكوت عن الباطل، ويتسامحوا في هضم الحقوق على غير طائل، أو يقرّوا لتلاعب كل متلاعب، ويسكتوا على أذى العدو والصاحب.

اللهم ارزقنا هذه الخشونة، ولا تحرم الأمة من عقابها، فالأمة الخشنة هي التي تحب حياة طيبة، والناعمة هي التي يأخذها من الفعال ما قدم وحدث، وينالها من عنت الشر ما فبح وخبث. وإني لأعتقد أن اليوم الذي يُصنع فيه كل إنسان على وجهه بما أتاه، ويحاسب حساباً غير يسير على ما جنته يده، ترقى هذه الأمة وهذا المجتمع إلى التي ليس بعدها...".



مدافع مشوّه عن قضية فاسدة

✓ بقلم : م. رشيد

جلسة عادية غير رسمية لزملاء في (الوظيفة) المهنة، وحديث مفتوح وصريح، مواضيع عامة يومية متنوعة على طاولة البحث، تبادل في الآراء والأفكار، تباحث في الهموم والمعاناة، نقاش في مناعب المهنة (الوظيفة) وشجونها، استقر بنا الحوار عند قضية الفساد على أنها سبب معظم المصاعب والمعوقات والمشاكل، (فأينما يتواجد الفساد ينتشر الجهل والتخلف والجريمة والتطرف والقمع والقلق والإرهاب...)، فتوقنا عندها ملياً، وتوسعنا في شرح أسبابها وأدواتها وأثارها الوخيمة، انتهت الجلسة، لكنها تركت في نفسي جرحاً بليغاً لم أستطع تجاوزه أو نسيانه، وكان دافعاً ومحفزاً لي للخوض في هذا الموضوع الشائك والعصيب والخطير، بسبب موقف أحد الجالسين (المدافع المشوّه) الذي كنا نعتبره قدوة حسنة يحتذى به، ونموذجاً صالحاً يضرب به المثل في النزاهة والاستقامة والإنصاف والإخلاص، لكونه مناضل سياسي ووجه اجتماعي معروف (!!!)، يملك حقوق تقييم الناس (في تحويرهم وتكفيرهم، أو تبرئة ذمهم ومنحهم شهادات حسن السيرة والسلوك... الخ) والوصاية عليهم وإرشادهم وقيادتهم نحو الهدف الموعود والمنشود، وهو بناء وطن يخلو من الظلم والاستغلال والإرهاب والفساد، ويعمه الخير والوئام والسلام والعدل والمساواة... كما هو موجود في شعاراته وأدبياته، أكد صاحبي (المحامي والشفيع الفاشل) الشرعية والرغبة في حصوله على جزء من الكعكة التي يستولي عليها الفساد (المفسد) بطرقه الملتوية وغير المشروعة كالابتزاز والسمسرة والرشوة والاحتيال والنصب والاحتيايل... وأظهر دعمه ومساندته لذلك الفاسد (ع من الناس) في تولي ذلك الموقع أو ذاك المنصب، مستغلاً الشعور القومي أو الديني أو الحزبي، ليكون الفاسد جزءاً من صفقات المحاصصة والمساومة والتوافق والمحسوبية في الانتخابات والتعيينات .. والأنكى من ذلك عندما برر للمرأة الأرملة بيع شرفها وعرضها من أجل إعالة أطفالها.. (!!!)

موضوع الفساد صعب ومنتشعب يحتاج إلى جهود مؤسساتية ضخمة لمواجهته ومعالجته، لكنني أردت الإشارة والإيجاز لأهم محاور البحث، والكشف عن أخطار الترويج والتبرير والإفتاء

محمد كرد علي، مؤرخ وباحث وأديب ولغوي سوري كبير، وصاحب مؤلفات يُشار إليها بالبنان؛ ولا سيما مؤلفه وبحثه التاريخي الضخم "حطّ الشام"، ذي الأجزاء المتعددة، وكذلك "تاريخ أحمد بن طولون" و"فلسفة الإسلام" و"المُعاصرون" و"المنذّرات".

كانت لكرد علي علاقة صداقة روحية متينة، مع صديقه العلامة الكبير فارس بك الخوري (١٨٧٧-١٩٦٢)؛ وهو سياسي وأديب سوري معروف، وعضو المجمع العلمي في دمشق، ولد في قرية "الكفير"، من قرى منطقة "حاصبيا" في لبنان، أسس مع (عبد الرحمن شهبندر) وفريق من الوطنيين السوريين "حزب الشعب"، ثم كان عميداً للكتلة الوطنية، تولى مراراً رئاسة مجلس النواب السوري ورئاسة الحكومة السورية، له "وقائع الحرب الروسية-اليابانية" و"الموجز في علم المالية".

كانت بين الرجلين مميزات ومفاكهات جميلة، يتندر بها أصحابهما، إذ كان (كرد علي) يشير في مباحثاته، أحياناً، إلى رأس صديقه الكبير، والملفت للنظر؛ بينما ينعتة (فارس الخوري) بأنه كردي خشن الطباع.

وذاث يوم، هاج الشوق بكرد علي، إلى صديقه الخوري؛ فبعث إليه رسالة ظريفة، في الثالث من شهر تشرين الثاني من عام ١٩٢٦، ونشر الرسالة العلامة والباحث الدمشقي القدير، الدكتور صلاح الدين المنجد، في صحيفة "الحياة" اللبنانية (عدد يوم ١٠/١١/١٩٦٤)، في رسالته الظريفة هذه، يمازح العلامة (محمد كرد علي) صديقه العلامة (فارس بك الخوري)، ناعثاً إياه بأنه قروي من "الكفير"؛ فيرد عليه الآخر بأنه "كردي". لهذه الرسالة أهمية تاريخية كبيرة؛ إذ يورد فيها كرد علي أسماء أهم الأعلام الكرد في العالم العربي، مقتحراً بهم، بأنهم من بني قومه.

يورد أسماء (شيخ الإصلاح في الإسلام: محمد عبده، ١٨٤٩-١٩٠٥. وهو - حسب علمي- أول من ذكّر بالأصل الكردي لهذا الشيخ الجليل)، و(رائد تحرير المرأة العربية: قاسم بك أمين، ١٨٦٣-١٩٠٨) و(أمير الشعراء: أحمد بك شوقي، ١٨٦٨-١٩٣٢)، و(عملاق الأدب العربي: عباس محمود العقاد، ١٨٨٩-١٩٦٤)، و(الأديب والمؤرخ واللغوي الكبير: أحمد بن إسماعيل تيمور باشا، ١٨٧١-١٩٣٠)، وهو صاحب الخزانة التيمورية الشهيرة بمحتوياتها المطبوعة والمخطوطة؛ والتي أهداها لدار الكتب المصرية، له مؤلفات كثيرة، منها: "تصحيح لسان العرب"، "تصحيح القاموس المحيط"، "أوهام شعراء العرب في المعاني"، وهو شقيق الأديب والمؤلف المسرحي الشهير (محمد تيمور: ١٨٩٢-١٩٢١)، والأديب والقاص المعروف (محمود تيمور: ١٨٩٤-١٩٧٣)، والأديبة والشاعرة المعروفة (عائشة التيمورية: ١٨٤٠-١٩٠٢).

نورد بعضاً مما جاء في تلك الرسالة الظريفة؛ التي يخاطب فيها الأستاذ (كرد علي) صديقه الأستاذ (الخوري):

"أثبت - أدام الله علاك- أن الكفير فيها الكاف والراء، وهما قلب الأكراد، ورأس كردستان، فلا يمكن أن تجتمعا إلى الحمافة والبلاهة، وإن لهما من الخشونة حظ وافر.

حكمة بالغة من بلاغتك، استخرجتها من اسم مزرعتك؛ وإني لمعتبط أنك أنجيت الأكراد من الحمافة والبلاهة، وأنحيت عليهم بالخشونة، التي لك فيها بعض الحق. وإن كانت خشونة صلاح الدين يوسف الكردي دفعت الأعداء عن ديار المسلمين، وخشونة محمد عبده الكردي جرّعت الأزهريين صاب إصلاحه في الدين،

الفكرة من خلال بعض المواقف في سياق التبرير للمفسد في فساد:

١- على أنه فقير ومحتاج ولا مورد له سوى فساده ليعيل أسرته ويؤمن به صرفياته ونفقاته الكثيرة.

٢- من منظار حزبي أو عائلي أو طائفي أو عرقي .. حضور ابن بطانته في موقع الفساد المربح والمفيد خير من آخر (غريب أو خصم).

٣- على أنه يتحرك وينهب القطاع العام، وحماية القطاع العام من مسؤولية الحكومة.

٤- على أنه لا يمس مصالحه المباشرة بأذى، ولا يتضرر منه، ويلفد ما يستطيع طالما هو بعيد عنه.

٥- طالما يخدمه شخصياً ويسير أموره فلا شأن له بغيره.

٦- طالما يعمل ويتعب فمن حقه الاستفادة عن طريق النهب والسلب والنصب والاحتيايل، زيادة عن استحقاقاته المشروعة والمبررة.

٧- على أنه لا يملك من الوسائل والقدرات والصلاحيات لمحاربته، لأن الفاسد تحميه رؤوس كبار وقوى متنفذة لا يمكن مقاومتها ومحاسبتها.

والفساد لا يعني الاستيلاء على الأموال فقط، بل يتعدى كل القيم المعنوية والروحية والمادية من شرف وكرامة وضمير وعلم وثقافة ودين... وعند نقشي الفساد بشكل واسع وصارخ كما هو الواقع، يستوجب المحاربة والمكافحة دون تردد أو وجل أو تأخير وذلك من خلال :

أ- الدراسة والتخطيط والتشخيص والمعالجة، بحزم وثبات وشفافية على أسس علمية وقانونية من قبل أجهزة متخصصة في الدولة بالتعاون مع المؤسسات والمنظمات الشعبية والمدنية .

ب- رفع الحصانة والحماية عن كل المفسدين مهما كبر شأنهم وعلت مناصبهم، بدون استثناء وتحويلهم إلى القضاء لينالوا جزاءهم العادل بمحاكمات علنية ونزيهة وشفافة.

ت- التقليل من المراسيم والقوانين النظرية والإدارية الناظمة، لأنها تتقل كاهل الدوائر البيروقراطية، والتي من شأنها زيادة قيمة وحجم لقمة المفسدين، وزيادة أساليب وطرق فسادهم .

ث- رفع الأحكام العرفية وحالة الطوارئ، وإطلاق الحريات العامة، وترسيخ مبادئ الديمقراطية الحقيقية وبناء المؤسسات المدنية، وإشراك الشعب في المراقبة والإدارة والمتابعة، وإلغاء كافة المشاريع الاستثنائية والقوانين التمييزية، ودعم وتطوير المؤسسات الخدمية والاجتماعية، ومحاسبة المفسدين ومن يقف خلفهم، ومكافأة الشرفاء وتكريمهم .

ج- منح وسائل الإعلام المزيد من الحرية والاستقلالية والحصانة، لتمارس دورها بفعالية في الرقابة وكشف مواطن الخلل والفساد أينما وجدت.

ح- أما المنظمات والتجمعات المدنية والسياسية والحقوقية والدينية، فإضافة إلى مهامها الخاصة ولما سبق ذكره، يجب عليها التنقيف والتطهير والتحديث في آلياتها وبرامجها وكوادرها لكي لا تصبح جزءاً من الفساد التي تظهر له العدا، وتدعي فضحه ومحاربته.

كلمة أخيرة: أذكر القارئ بمقولة الفنان أيمن زيدان في مسلسل يوميات مدير عام (عوجة)، وأصححها لتصبح (خربانة..) تلتقط أنفاسها الأخيرة، فهل من معيذ؟! !

والإذكاء(أو التمويه والتشويه والتضييع) لجرائم الفساد والمفسدين من قبل جهات وأطراف، حيث كان الأجدى بها المحاربة والمكافحة، لأنه حتى التفرج والوقوف على الحيات غير مقبول منها . فالفساد آفة خطيرة، وأخطرها فساد الإنسان (لأنه أئمن رأسمال)، فإذا لم تكفح بشكل جذري وفوري وجذبي، فإنها ستخر أسس المجتمع وتقوض بنيانه وتفسخ وشائجه، فيؤرها السرطانية تنمو وتنتشر بسرعة في الأوساط الخصبة لها، كالتالية:

١- تلك التي تغيب فيها سلطة القانون والمؤسسات، وتحكمها الاستبداد والعنف.

٢- وتلك التي تنفقد إلى العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص .

٣- وتلك التي تتفاهم فيها البطالة والفقير والتخلف...كمحافظة الجزيرة بسبب تطبيق المراسيم والقوانين الاستثنائية والتمييزية (كالرسوم ٤٩ المدمر، والإحصاء الاستثنائي الجائر، ومشروع الحزام العربي المقيت، والقرار الظالم القاضي بنزع يد الفلاحين عن الأراضي، وغيرها) التي شلت النشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ... وبثت القلق والخوف في النفوس، وفتحت الأبواب واسعة أمام المفسدين لنهب الشعب بشكل منظم ومبرمج تحت مبررات لا شرعية لها ولا مبرر، ولا علاقة لها بمصلحة الوطن وأمنه وسيادته.

٤- وتلك التي تنفقر إلى الضمائر والقيم والأخلاق الإنسانية، والمبادئ الوطنية والدينية...

٥- وتلك التي تكثر فيها الحساسيات الطائفية والعرقية والعشائرية.

٦- وتلك التي تخلو من الرقابة الفعالة (شعبية أو حكومية) على كافة المؤسسات والدوائر والمنظمات...

والفساد داء لا جنس له ولا دين ولاهوية (إنه المافيا)، يعيش ويستفحل في كل مكان وزمان بلائمانه، والمفسدون غايتهم النهب والسلب وجمع الثروة، كيفما كانت الوسائل والظروف، ومهما كانت المصادر، ومهما كانت النتائج والضحايا، وأينما كانت المواقع، كل شيء مباح فلا وجود لخطوط حمراء أمام نفسياتهم المريضة المتوحشة، ولا رادع لسلوكياتهم الجشعة المخربة، يستغلون كل ما يتاح لهم من مراكزهم الوظيفية، وسلطاتهم الإدارية والسياسية والأمنية والدينية والعائلية...، ويستغلون كل ما هو مقدس ونفيس من مشاعر وأحاسيس ومبادئ وعلاقات... من أجل تحقيق منافع فردية ومصالح شخصية آنية، والمتضرر المباشر هو المواطن العادي (الشريف والبريء)، والخاسر الأخير هو الوطن بثرواته ومقدراته.

وفي سياق البحث عن سبل مواجهة الفساد ومكافحته في جميع خلايا المجتمع والدولة، نترك مسؤولية النظام الحاكم بكامل سلطاته التشريعية والتنفيذية والقضائية والإعلامية جانباً، ونتناول دور بعض الجهات والقوى من خارج النظام التي آلت على نفسها المعارضة والتصدي لكل ما هو مسمي للوطن والمواطن، من خلال توعية الجماهير وقيادتها نحو الإصلاح والتغيير على أمل تحقيق الديمقراطية والحرية والعيش بسلام وأمان ورخاء، ولكن الذي يبدو هو أن دورهم عقيم وضعيف، ومهمتهم صعبة، خاصة وأنها تبدو بمثابة مسننات فاعلة في ماكينة الفساد(العامة) العاملة بقوة ونشاط ودوام، أو أنها تبرر وتساير وتسهل عمل تلك الماكينة، أو تسوق وتروج لمنتجاتها وبضائعها، وفيما يلي نوضح

في ذكرى انطلاقه البارتي الأول...أكراد سوريا: إخلاص وإيمان بغياب "القبلة" و"الإمام"!

✓ بقلم: صلاح علمداري

متمسكون بتاريخهم وتراثهم ولهجاتهم وعاداتهم ... مخلصون لقادتهم وساستهم ... متشبثون بالأرض التي يسكنوها...متعايشون بسلاسة ووثام مع جيرانهم من كل الطيف السوري ولكن....

لم ينعم الأكراد في سوريا بنعم الانتماء إلى الوطن ولا بخيرات الوطن ولا برعاية الدولة واهتمام المسؤولين فيها إلا يسيرها، ولا زالوا مهمشين في أريافهم النائية أو أحيائهم الفقيرة حول المدن الكبيرة بعيدون عن وظائف الدولة الهامة وعن مراكز صنع السياسة والقرار الوطني، يدافعون عن وجودهم وعن قضيتهم وعن أحلامهم من حيث هم...مساحات محاصرة بالفقر وبالتهديدات والانتهاكات الأمنية....

سياسات التمييز والتمهيش التي انتهجتها الدولة والقوانين الجائرة التي تسنها باستمرار لجمت على طول العقود الماضية ولا زالت إلى الآن حركة وحماس الأكراد المتجهة صوب الداخل السوري وقللت من التفاعل الكردي مع العمق الوطني الرسمي والشعبي وأضعفت من ثقافة وروح ومسؤولية الانتماء، إذ كانت هذه السياسات دائما بمثابة العائق والسد تقيمه السلطات أمام الجدول الكردي لكي لا يصب في النهر السوري، ولا نعني بالانتماء هنا فقط العامل الجغرافي بل نقصد بالانتماء ذلك الشعور الغامر بالكرامة والعزة والذي يتولد في " الجماعة" نتيجة اشتراكها في الأرض والتاريخ والمعيشة.. في ظل مؤسسات وموثيق تحدد الواجبات وتصور الحقوق وتضمن لها الأمن والاستقرار والرفاه .

الانتماء الوطني - إذا- هو ذلك الإحساس الدافئ الذي تولده المشتركات وتعززه رعاية الفوق السياسي (السلطة).
النخبة السياسية الكردية وعلى مدار ثلاثة وخمسين عاماً من عمرها - تمت هذه الأيام - لم ترتقي بأساليب نضالها ولم تتمكن حتى من بناء ذاتها القادر على تشكيل ثقل جماهيري وسياسي في الساحة الوطنية يمكن أن يتصدى للسياسات والقوانين الجائرة التي تستمر سلطات البلاد في سننها وتطبيقها بحق مواطنيها الأكراد .

انشغال القيادات والأحزاب الكردية أو ربما إشغالها من قبل السلطة في مشاكل حزبية داخلية صغيرة تركت الباب مفتوحاً على مصراعيه لخروج كل السياسات والخطط التي ترسمها بعض الأوساط العنصرية في السلطة إلى حيز التطبيق لتجني هذه الأوساط ثمارها اليوم ويجد الأكراد أنفسهم محاصرون في مساحة وطنية ضيقة مشكوك في انتمائهم من قبل الكثيرين، حتى من بعض النخب خارج السلطة!.

لم تفرز الحالة الكردية في سوريا مفكرين ومنظرين وأكاديميين يشخصون الوضع الكردي في البلاد بدقة وجرأة ويحددون أهداف حركتهم السياسية، وبالتالي تحديد الاتجاه ومسار النضال وصياغة المطالب الموضوعية القابلة للتحقيق، فالأحزاب بمجملها لا زالت - رغم عمرها الطويل- مترددة وخجولة في توجهها الكردستاني وضعيفة في توجهها الوطني ولم تحدد "قبلتها" بعد .

إذا كان الشعار والتوجه هو كردستان، فأى كردستان

نقصد؟، لكل جزء من كردستان أصحابه وساسته وقادته، فقيادة كردستان العراق يجدون مصلحتهم في العمق العراقي ويطالبون أكراد الأجزاء الأخرى بعدم الاعتماد عليهم وينصحونهم بالحوار مع سلطات بلادهم ومطالبتها هي بالحقوق، وكذلك الحال في تركيا فأكرادها يميلون إلى التجاوب مع توجهات حكومتهم الحالية ويتراجعون عن شعارات التحرير والاستقلال ويقبلون بالوطن التركي لكل أبنائه، وكذلك في إيران، فما لنا نحن أكراد سوريا من كردستان الآخرين؟، بالنسبة لي قريتي هي كردستاني و"هولير" ليست مدينتي وموطني، و"أمد" ليست لنا ولن نجد فيها المأوى ولا أسباب العيش ولا الاستقرار والأمان، لا بل سيطالبنا الأشقاء (أصحابها) بتأشيرات دخول!، حتى لمجرد زيارتها .

أما إذا كان الشعار والتوجه هو الوطن السوري فلماذا لا تتخلى الأحزاب عن شعارات "كردستان سوريا" و "العمق الكردستاني" والأرض التاريخية..... وما إلى ذلك من شعارات تخاطب القلوب وليس العقول، يستفز بها الشريك الوطني وتتخذ منها السلطات ذريعة لاتهام الأكراد بالبلا وطنية وأيضاً ذريعة لزيادة الضغط على مجمل الحقل السياسي في البلاد وإصدار المزيد من المراسيم.

وليسمى أصحاب هذه الخطوة بالتيار الإصلاحية في الحركة الكردية !. يدافع صراحة عن الانتماء الكردي للوطن السوري ككيان له خصوصية قومية يلتقي ويتحاور على هذا مع القوى والمنظومات والأطراف الوطنية، وينخرط في الفعاليات والأنشطة الوطنية المختلفة.

في كل بلاد العالم ثمة تياران أساسيان إما ثوري متطرف أو إصلاحية منفتح سواء كان علمانياً أو دينياً، وقد يوجد تيار ثالث هو الوسط، ولكل تيار منظوره ورموزه، إلا الحركة الكردية في سوريا فلها تياراتها التي لا تقف عند ثلاثة بل تزيد بأضعاف، والتي لا تميزها عن بعضها حتى وان كنت عالم سياسة أو فيلسوف، وكذلك الحال بالنسبة للقيادات والرموز فعددهم مخيف وخطاباتهم "فتاويهم" بيزنطية غير مفهومة وغير صريحة البنية !.
في ذكرى مرور ثلاثة أعوام بعد الخمسين من عمر الحركة الكردية في سوريا لم يجني المواطن الكردي من جهده وحزبه ونضاله إلا حصداً مرأ قوامه استمرار الاضطهاد القومي واستمرار القوانين والمراسيم الاستثنائية وصدور أخرى أشد خطراً، وازدياد الفقر، وازدياد وتيرة تهجير الأكراد من ديارهم، وازدياد عدد أحزابهم وقيادتهم !.

بعد مرور أكثر من خمسة عقود من النضال السياسي يبقى الأكراد في نضالهم بحاجة إلى الثنائي نفسه الذي كان من المفترض أن ينطلقوا به، أو ينتجونه عبر محطات عديدة من العمل السياسي والحزبي وهو تحديد الهدف والمطالب والتوجه، أي "قبلة النضال" وتشبيد وسيلة النضال المتمثلة في حزب أو جبهة أو حركة "إمام"، تلتف حول برنامجها النخبة وتقف خلفها جماهير القرى والأرياف الكردية، تحتضنها وتؤازرها.

وفي كل الأحوال لا بديل عن الانتماء السوري، ولا بديل عن الدفاع بلا هوادة عن هذا الانتماء، ولا بديل عن العمق السوري للأكراد، ولا عن الانخراط في العمل الوطني العام إلى جانب كافة القوى والأحزاب والتيارات التي تؤمن بالديمقراطية وسيلة للتغيير نحو الأفضل وبالتعددية غنى للتراث الفكري وبالآخر المختلف ندا يحفز على التصويب في مسيرة العمل الوطني .

تنويه : ما ينشر في صفحات "آراء ومواقف"

يعبر عن آراء ومواقف أصحابها.